١٠٣
عزاء

[الطويل]

تَـعَـزَّ بِـصَـبْـرٍ لَا وَجَـدِّكَ لَا تَـرَى
بَـشَـامَ الْـحِـمَـى أُخْـرَى الـلَّـيـالـي الـغَـوائِـرِ(١)
كَـأَنَّ فُـؤَادي مـن تـذكّـره الـحـمـى
وأَهـلِ الْـحِـمَـى يـهـفـو بـه ريـشُ طـائـرِ(٢)

١٠٤
أُقسم لا أَنساكِ

[الطويل]

أَيَـا لـيـلَ زَنْـدُ الْـبَـيْـنِ يَـقْـدَحُ فـي صَـدْرِي
ونـارُ الأَسَـى تَـرْمِـي فـؤادِيَ بـالـجَـمْـرِ(٣)
أَبـى حَـدَثَـانُ الـدَّهْـرِ إِلَّا تَـشَـتُّـتـاً
وأيُّ هـوًى يَـبْـقَـى عـلـى حَـدَثِ الـدَّهْـرِ(٤)؟
تَـعَـزَّ فـإِنَّ الـدَّهْـرَ يَـجْـرَحُ فـي الـصَّـفـا
ويَـقْـدَحُ بـالـعَـصْـرَيْـنِ فـي الـجـبـلِ الـوَعْـرِ(٥)

---

(١) البشام: ضرب من شجر طيب الرائحة. الغوائر: الماضية. يقسم الشاعر بالحظّ العاثر أن الزمان لن يبيح له رؤية شجر البشام ولا التّنعُّم بطيب روائحها في تلك الليالي التي تمرّ مرّ السحاب بسرعة عظيمة.

(٢) يُحسّ الشاعر بخفقان قلبه إذا ما تذكّر تلك الديار وساكنيها كأنه استحال إلى طائر يخفق بجناحيه إلى حيث يحبّ.

(٣) الزند: عود تُقدح به النار. يقدح: يشعل اللهب. يخاطب الشاعر ليلى أن البعد وقود يتّقد في أعماقه دائم الاشتعال، بينما الجمر يحرق فؤاده.

(٤) عملت مصائب القدر على تفرّقنا فباعدت بيننا، ومن المعلوم أن الفراق يميت الحبّ في القلوب، وهل يبقى الحبّ متّقد المشاعر أم يقضي البعد عليها، فتموت؟

(٥) الصفا: الصخرة الملساء. العَصرين: الغداة والعشيّ. ما يدخل العزاء على قلوب =

وإنّـــي إذا مـــا أَعْـــوَزَ الـــدَّمْـــعُ أَهـــلَـــه
فَـزِعْـتُ إلـى دَلـحـاءَ دائـمَـةِ الـقَـطْـرِ[١]
فـوالـلّـه مـا أَنـسـاكِ مـا هَـبَّـت الـصَّـبـا
ومـا نـاحَـتِ الأَطـيـارُ فـي وَضَـحِ الـفَـجْـرِ[٢]
ومـا نـطـقـتْ بـالـلّـيـلِ سـارِيَـةُ الـقَـطـا
ومـا صـدَحَـتْ فـي الـصُّـبـحِ غَـادِيَـةُ الـكُـدْرِ[٣]
ومـا لاحَ نَـجْـمٌ فـي الـسَّـمـاءِ ومـا بَـكَـتْ
مُـطَـوَّقَـةٌ شَـجْـواً عـلـى فَـنَـنِ الـسِّـدْرِ[٤]
ومـا طَـلَـعَـتْ شَـمْـسٌ لـدَى كُـلِّ شـارِقٍ
ومـا هَـطَـلَـتْ عـيـنٌ عـلـى واضـحِ الـنَّـحْـرِ[٥]
ومـا اغْـطَـوْطَـشَ الـغِـرْبـيـبُ واسْـوَدَّ لَـوْنُـهُ
ومـا مَـرَّ طُـولَ الـدَّهْـرِ ذِكْـرُكِ فـي صَـدْري[٦]

= البشر أن كلّ شيء يتحوّل ويتبدّل، حتى الصخر فإنّه لا يدوم على حاله. فالدهر كفيل بتغيير معالمه، وكذلك يحرق بلهبه الجبل الوعر صباح مساء.

(١) دلحاء: سحابة ماطرة. فزع إليه: استعاذ به. وللدلالة على ما يعانيه فالشاعر على استعداد لمدّ من بحاجة إلى الدمع أن يمدّه به من دمع عينيه الدائم السحّ.

(٢) يقسم الشاعر لحبيبته أنه لن ينساها طالما نسّمت نسمات الحياة، وما دامت الأطيار تبكي أحبّتها في تفتح الفجر مع إشراقته الأولى.

(٣) وكذلك طالما أفصحت القطا عن فرحتها في عتمة الليل، وغنّت بصوت رخيم مع بزوغ فجر جديد، وثمّة غيوم مفعمة بالمطر في الأفق.

(٤) المطوّقة: ضرب من الحمام البرّي. السّدر: ضرب من الشجر الضخم. وكذلك ما انشقّت السماء عن نجم يتلألأ ضياؤه في كبدها، وذرفت مطوّقة شوقاً لألف وهي تحطّ على غصن شجرة سدر.

(٥) وكذلك حالما نثرت الشمس خيوطها الفضية على الهضاب والسهول كلّ يوم، وبكت عين محبّ على فراق حبيبه فبلّلت النحر.

(٦) اغطوطش الغربيب: لفّ الكون ظلمة الليل. وكذلك ما دام الليل يلفّ الكون بردائه الأسود القاتم، وما دمت أعيش مع ذكراك طوال العمر.

وما حَمَلَتْ أُنْثَى وما خَبَّ ذِعْلِبٌ
وَمَا طَفَحَ الآذِيُّ في لُجَجِ البَحْرِ (١)
وَمَا زَحَفَتْ تَحْتَ الرِّجَالِ بِرَكْبِها
قِلاصٌ تَؤُمُّ البَيْتَ في البَلَدِ القَفْرِ (٢)
فلا تَحْسَبي يا لَيْلَ أَنّي نَسيتُكُمْ
وأَنْ لَسْتِ مِنِّي حيثُ كنتِ على ذكْرِ (٣)
أَيبكي الحَمامُ الوُرْقُ من فَقْدِ إِلْفِهِ
وتَسْلو؟ وما لي عَنْ أَلِيفِيَ مِنْ صَبْرِ (٤)
فأُقْسِمُ لا أَنساكِ ما ذَرَّ شارِقٌ
وما خَبَّ آل في مُلَمَّعَةٍ قَفْرِ (٥)
أَلا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبيتَنَّ لَيْلَةً
أُناجِيكُمُ حَتَّى أَرَى غُرَّةَ الفَجْرِ (٦)

(١) خبّ الفرس: الخبب ضرب من مشي الفرس، حيث يراوح بين يديه ورجليه. الذعلب: الظليم، ذكر النعام. الآذي: الموج، لا يزال الشاعر يقسم بظواهر الوجود، فما دامت كلّ أنثى من البشر والحيوان تحمل أجنّتها، ودامت الناقة تسبح في جريها، وما دام البحر يذخر بموج يعلو الأعماق ويهوج معلناً عن غضب ونفور.
(٢) القِلاص: النياق الفتية السريعة. وكذلك طالما انسابت بجريها القِلاص مسرعة يمتطيها الراحلون قاصدين أحياءهم في أعماق الصحراء الموحشة المقفرة.
(٣) يقسم الشاعر بكلّ تلك الصور من الحياة أنه لن ينسى ليلى وأنها في عقله ووجدانه حيثما كان فذكراها لن تمحوها الأيام من خلده.
(٤) يسأل الشاعر هل يبكي الحمام البريّ لفقد إلفه؛ ثم تتوالى الأيام فينسى ويسلو، أمّا الشاعر فإنّه لا يمكنه الصبر على بعد من أحبّ.
(٥) ذرّ: طلع. يقصد بالشارق انبلاج الفجر. الآل: السراب الخادع. يحلف الشاعر أنه سيبقى على العهد طالما أن توالى شروق، وما لاح سراب خادع في قفر يُلمح في نهار حارّ.
(٦) يتمنّى الشاعر لو يناجي طيف الحبيبة حتى تشرق الشمس.

لـقـد حَـمَـلَـتْ أَيْـدِي الـزَّمـانِ مَـطِـيَّـتـي
عـلـى مَـرْكَـبٍ مُـسْـتَـعْـطِـلِ الـنَّـابِ والـظُّـفْـرِ(١)

١٠٥
اسمعوا عذري

[الطويل]

أَقـولُ لأَصـحـابـي وقـد طَـلَـبـوا الـصِّـلَـى:
تَعَالَوا اصْطَلُوا إِنْ خِفْتُمُ القُرَّ من صَدْرِي(٢)
فَـإِنَّ لَـهِـيـبَ الـنَّـارِ بَـيْـنَ جَـوانِـحِـي
إِذا ذُكِـرَتْ لَـيْـلَـى أَحَـرُّ مِـنَ الْـجَـمْـرِ(٣)
فَـقَـالُـوا: نُـرِيـدُ الْـمـاءَ نَـسْـقِـي ونَـسْـتَـقِـي
فَقُلْتُ: تَعَالَوْا فَاسْتَقُوا الْمَاءَ مِنْ نَهْرِي(٤)
فَـقَـالـوا: وَأَيْـنَ الـنَّـهْـرُ؟ قُـلْـتُ: مَـدَامِـعـي
سَـيُـغْـنِـيـكُـمُ دَمْـعُ الْـجُـفُـونِ عَـنِ الْـحَـفْـرِ(٥)
فَـقَـالُـوا: وَلِـمْ هَـذَا؟ فَـقُـلْـتُ: مِـنَ الْـهَـوَى
فَقَالُوا: لَحَاكَ اللَّه، قُلْتُ: اسْمَعُوا عُذْرِي(٦)
أَلَـمْ تَـعْـرِفُـوا وَجْـهـاً لِـلَـيْـلَـى شُـعَـاعُـهُ
إِذَا بَـرَزَتْ يُـغْـنـي عَـنِ الـشَّـمْـسِ والْـبَـدْرِ(٧)؟

---

(١) ينعى الشاعر على زمن أهداه مطية لا ناب لها ولا ظفر، فلا فائدة منها؛ وذاك قدره، لا معين ولا من يأخذ بيده ليحصل على ما يتمنّاه في هذا الوجود.

(٢) و (٣) الصِّلى: الدفء. اصطلوا: اطلبوا الدفء. القُرُّ: البرد الشديد. يطلب الشاعر من صحبه أن يستمدوا الدفء من صدره الملتهب. فبإمكانه أن يبعد عنهم الإحساس بالبرد القارس، لأن ذكر ليلى يجعل النار يستعر لهيبها بين ضلوعه.

(٤) كان ردّ الأصحاب بأنهم يرغبون ماءً ليرتووا ويسقوا أنعامهم فكان جواب الشاعر أن نهره مترع، فما عليهم إلّا أن يردوه ولهم ما أرادوا.

(٥) راح هؤلاء يستفسرون عن موقع ذلك النهر، فأشار الشاعر إلى جفون عينيه؛ فدموعها لا تجفّ، ممّا يوفّر عليهم طلب الماء ممّا يحفرون في باطن الأرض.

(٦) و (٧) راح هؤلاء يستعلمون عن الأخبار، فردّ الشاعر أن الحبّ سبب آلامه ومدرّ =